



جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



49. التّحذير من الصّفات الدّنيئة

17 شعبان 1380هـ الموافق 3 فيفري 1961م

الحمد لله الّذي أنار عقولنا، وهذّب نفوسنا، وشرح قلوبنا للإسلام، **{أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}** [الزمر: 22]، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الشورى: 11]، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي بيّن للنّاس طريق المدنيّة، وهذّب أفكارهم لفهم المبادئ الدّينيّة، وبنى لهم مجدًا عظيمًا؛ حتّى ارتفعوا به إلى المكانة السّامية، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، دعاة الخير، وحماة الإسلام، وأئمّة التّربية، وقادة النّهضة العلميّة والأدبيّة، رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ هذه الحياة مملوءة بالأشواك والعقبات، وأنّ الطبائع النّفسيّة مختلفة التّربية والاتّجاه، فإن هي سارت نحو الطّبائع الرّديئة والمعوجّة فإنّ الغيوم تزداد تلبّدًا وظلامًا، وإن استقامت على طريق الحقّ، وسعت في طريق الخير وإصلاح الشّؤون الأخلاقيّة، وتقويم هذا الاعوجاج المتغلّب علينا، وإصلاح ذات بيننا، فإنّ هذه الحياة تزداد علينا إشعاعًا، وضياءً، وإنارةً لسبيلنا؛ لنكون جميعا في خدمة الصّالح العامّ، وإقامة صرح المدنيّة، وبناء النّهضة الدّينيّة الّتي تُعلي شأننا، وترفع مكانتنا، وتعيد لنا كلّ خير وإسعاد في هذه الحياة.

وأنّ الله –جلّ شأنه– قد خلق فينا جانبًا من الرّوح وجانبًا من المادّة، فإن اعتدلنا فيهما فقد كتبنا لأنفسنا سعادة باهرة، وحياة لا مثيل لها في هذا الوجود، وإن غلّبنا جانب المادّة وحدها فقد انحرفنا عن الطّريق السّويّ، وجلبنا لأنفسنا كلّ أنواع الويل والثّبور، وما هذه الأنانيّة، وحبّ الإيثار، والعناد، والطّغيان، والتّمادي في سبيل الغيّ، ونسيان الواجب، والتّهاون بمبادئ الدّين، إلّا سبب لذلك الجانب، ونوع من التّأخّر العقليّ والفكريّ، وميل إلى الفناء والدّمار.

وهذه الصّفات الدّنيئة نرى الإنسانيّة الكاملة تتنزّه عن سلوكها؛ لأنّـها تُبعـدها عـن معناهـا الـحقيقيّ الّذي خلقت لأجله، وتـجعلها فـي صفّ الـحيوانات الّتي لا تسمع ما يقال لـها، ولا تبصـر شـيئا مـمّـا تشاهده من عجائب الـحياة وأسرارها.

ولكن علينا أن نسمو بأنفسنا، وأن نترفّع عن الدّنايا، وننقذ أنفسنا من هذا الـحضيض، وذلك بإزالة هذه النّقائص، وترويضنا علـى الصّـفات الكاملـة، والسِّيَـر الـمستقيمة، والاعتـدال الّـذي يـحبّذه العقـل والتّفكير، وتقوم عليه حياة الـمجد والعزّة والكرامة.